روخيليو سينان (باناما)

الضحية الوحيدة للثورة( )

ـــ لا يا ماما، أنا أقرأ.

يوجد فعلا كتاب بين يدي، لكني لا أقرأ. أحلم فقط. أحب أن أشرد. أن أتصور أشياء. مثالا : أني نجمة سينما. البطلة جارية على حصان في الغابة. يطاردها المتوحشون. يقترب منها فجأة حبشي ضليع، عار، ذو بشرة لامعة سوداء. السود يعجبونني. أتمنى أن أكون غريتا غاربو. تتقن أدوارها. أين شاهدتها ؟ هذه الليلة أفضل الذهاب الى السينما. أذهب غدا...

ـــ ألا تلبسين ثيابك يالاوريتا ؟

ـــ الآن يا ماما.

أحلم، لا أعمل شيئا آخر. لو كان الأمر سهلا لكتبت أحلامي. قال لي أحدهم يوما إننا لكي نكتب كتابا لا نحتاج الا الى قلم وورقة. لو كان هذا صحيحا... من كان يقول لي هذه الاشياء ؟ أظن أن ذلك حدث في دار المعلمين. عندك ذهن تحليلي. كان يرقص جيدا. رغم كبره كان يعجبني قليلا، لكن أمير الاحلام لم يكن في ذلك الوقت يفارق أحلامي. الواقع اليوم شيء آخر مختلف جدا. في ذلك الوقت كان بابا حيا وكان عندنا ما نعيش به بأحسن طريقة ممكنة. كم الساعة الآن ؟ العجب، أظن أن الظلام بدأ ينزل. ربما يصل ذاك ولا يجدني متجهزة. أقول له أن ينتظرني. الشيوخ يجب أن ينتظروا.

سأكون له بالسيف لا بدافع الحب. اللعنة على الفقر ! بعض الناس عندهم كل شيء وبعضهم ما عندهم شيء. ما عدت أحتمل هذا. أريد التغيير. كثيرات عملن هذا على كل حال. وماذا جرى ؟ الا يمشين في الشوارع فخورات جدا ؟ على الأقل سيكون عندي بعض المال. على جسمي العاجي سيسقط مطر من ذهب. جوبيتار وداناي. أعيش في بيلا كبيرة وأذهب الى السينما كلما أردت ذلك.

بعد قليل أبدأ مغامرتي الاولى. الأمر يبدو شيئا سينمائيا. أصحيح يالاوريتا أنك تريدين أن تضحي من أجل عائلتك ؟ ألا تحرك عقدك الخفية ؟ من يدري... من السهل أن تكوني عفيفة والمال موجود، إذا لم يكن موجودا، لابد من التنازل.

ـــ الآن يا ماما.

( ) هذه القصة أرسلها إلينا المؤلف ضمن مجموعة من أعماله.

يمنحونك رتبة معلمة ويعطونك منصبا اذا عملت ما يريدونه منك، أما إذا لم تعملي ذلك فلا. أوغاد ! ما بقي غير أن أقرر. أن أرمي بالاخلاق ورائي وأتسلح ببعض الوقاحة. نعم ياعزيزتي لاورا. جسمك جميل. أنت مليحة. لحسن الحظ ستكون في محفظتك رزمة غليظة من الاوراق البنكية، ستكون عندك ثياب فاخرة وأحذية أنيقة والجواهر التي تختارينها...

لو تركت ذهني يشرد من يدري الى أين يأخذني. لأني متعددة. واحدة وألف في نفس الوقت. ما أنا قط المرأة نفسها. ومع ذلك، أنا دائما تامة في كل لحظة من حياتي. اليوم أنا امرأة وغدا أكون امرأة أخرى. سيجيء يوم أكون فيه متعبة وألتفت الى الوراء كامرأة لوط وأتحول الى تمثال من ملح. أقصد لما أنظر الى الطريق الذي قطعته وأقرر. ماذا ؟

تخيل خالص. مازلت هنا مضطجعة تماما وضون بيبي سيجيء الآن. أيكون مؤدبا ؟ المال يعمل كل شيء. هناك في المدرسة كنت أحسن حالا مما أنا الآن. لم أكن في حاجة الى التفكير في هذه الأشياء. كنت طاهرة، بسيطة. ومع ذلك، لما قرأت «نانا» أحسست أني عاهرة. أتمنى أن أعيش حياة نساء الموانيء. البحارة يقبلون ويرحلون. ليتني كنت بحارا...

تقمصت شخصيات كثيرة في تلك الفترة. أميرة أسطورة. غريتا غاربو. نانا... ذهني المجنون كان يلذذني جاعلا إياي أعيش بأوهام. الأشياء المجردة كانت بالنسبة لي صحيحة دائما، أكثر واقعية من الاشياء العادية. أكان واقعي أنا موجودا الى جانب تلك الاوهام الرائعة ؟ لو ما كان موجودا. لو ما هو موجود. لو لم تكوني أنت ياعزيزتي لاورا مضطرة الى تسليم جسمك اليوم ــ جسمك الاهيف هيفا ذي النهدين المنتفخين ــ لرائل عجوز لن يعرف قيمته. طيب، اللعنة ! على الاقل سنتمتع بالسينما. سنغير حياتنا...

إذا استمررت في هذا الغم أجن.

طيب يا ضنون بيبي، كم تعطي ؟ ألف دولار ؟ ألفين ؟ مليونا ؟ الهرم المغازل ! لأنه سياسي فقط. اللص ! وأخي أرسله الى الخارج ليصلح لشيء. أسمعت يابيدرو ؟ أنت تشرب فقط، لا تعمل شيئا آخر. أين يجد المال ؟ إذا استمر هكذا يضيع. أنت عارف ياضون بيبي، أخي أريد أن أرسله الى فرنسا. وظيفة في القنصلية ؟ لا، منحة دراسية أحسن.

ــ الآن يا ماما !

مسكينة ! يقلقني ذاك السعال. طبعا ! بما أنها تهلك نفسها بالعمل. لو عرفت ياماما كيف أحبك. لما يجيء المال أعتني بك اعتناء كبيرا جدا جدا. كم الساعة ؟ البارحة جاء بيدرو سكران. كيف هي هذه الحياة ! لماذا تشكين ياالاورا وأنت بنفسك ــ قل الحق ! ــ لحق بك العام وأنت تشربين ؟ لما كنت ترقصين (كم كان رقص تيتو جيدا !) كان كل شيء حولك يدور. النزهة في «لاس صاباناص» أعادت الي لحسن الحظ قليلا من صوابي. واسمع ياتيتو، يجب أن أقول لك هذا، هذه ما هي الطريقة التي تعامل بها الفتيات. اضبط يديك قليلا.

طيب، على كل حال... لو كنت جريئة أكثر، صريحة أكثر... أسلم نفسي للذي أيقظ غرائزي.. لايهم من ... أسود أو أبيض... لو ما كانت الاحكام السبقية الغبية تستعبدنا جاعلة إيانا نعيش وراء أقنعة... بالروعة الحياة في المدن العصرية ! واسمع ياضون بيبي، اطلب ما تريده، ولكن لا تنس الرحلة... الله ! أنا أرى نفسي في الباخرة، كل الركاب ينظرون الي. بالاناقة هذه الفتاة ! أهي كوبية ؟ لا ياسيدي. بانامية ! ويقع في حبي شاب مليونير (لاشك أنه روائي) أخبار المجتمع : البارحة تم عقد قران... لا ! لا ! شطب هذا ! «تزوج البارحة الوارث المشهور فلان الفلاني الميس لاورا ماكدونال نجمة المترو ــ غولدوين ــ مايير المعروفة».

لا تكوني حمقاء يالاوريتا. اليوم تخطين أجد خطوة في حياتك وأنت تخلين ذهنك يلعب لعبه المعتاد. أستعيشين بالاوهام الى الأبد ؟ حمقاء ! في التاسعة يجيء ذاك الرجل وربما يجدك مازلت لابسة البيجامة. طيب يابنت، الى الحمام ! لحم طري لذاك الخنزير. مؤسف، ولكن لابد من ذلك. طيب، قم وامش، قال المسيح، أقوم فعلا. وحركة قيامي نحو هدف مصير مشؤوم، أليس مثل رمز ؟ أنت خرجت من الموت يالازارو المسكين، لتدخل الحياة، أتكون حالتي كهذه ؟ لا، أنا أنزل من الحياة الى الموت. لماذا أفكر كثيرا ؟ قلت الى الحمام ! قدماي الخفيفتا الحركة تدخلان الخفين. جسمي الاهيف ينتصب. فوطة. الصابون ؟ هاهو. تمش. لما يكون عندي المال سيكون حمامي من رخام، أو لما يكون عندي الرخام سأتمتع باستحمامات من ذهب. كيف سيكون ذلك ؟

ــ اسمعي ياماما، باب الحمام لابد أن نصلحه. أكاد أرى من الخارج عارية.

الماء لذيذ. نسيت أن أرى كم الساعة. إذا جاء ضون بيبي لن يجدني لابسة ثيابي. يجلس وينتظر. الشيوخ صبارون في لعبة الحب. وإن كان الرجل غير مفرط الشيخوخة على كل حال... غسل النهدين بالصابون لذيذ. تزلق اليدان عليهما بنعومة. هذا النهد يؤلمني قليلا. طبعا ! بسبب ما وقع البارحة. ومع ذلك، طاهرة. الاشياء التي يستطيع أن يعملها الذهب. كم ليلة انتظرت في مضجع العذرية ــ مضجع العذراء الشهيدة ــ الشيء الذي لم يصل قط. كم مرة رأيت شبانا تغيرت وجوههم بفعل الاحتكاك بنهدي المنتفخين. مداعباتهم كشفت لي متعا مجهولة. ومع ذلك ظللت طاهرة. الآن، العكس، يجيء سيد، سياسي، يعرض علي ألف شيء وأنا أقبل. المال يستطيع أن يعمل كل شيء. طيب، انتهيت. الآن، لأخرج وألبس ثيابي. اليوم، أول يناير، تتغير حياتك يالاوريتا. الازدهار يبدأ غدا. أخرج من الحمام. لأر كم الساعة. العجب، ستكون التاسعة الآن ! اذا جاء يرعبني ! اجرى، اجرى والبسي ثيابك يابنت ! سدي الباب الآن. يمكن أن يجيء أخوك ويجدك عارية. لما جاء خورخي تلك المرة يفتش عني. كيف خجلت ! هو كان داخلا وأنا كنت خارجة من الحمام عارية تماما. كدت ألا أذهب الى حفلة الرقص... والآن وأنا هنا قبالة المرآة، كما كنت آنئذ، أتصور الشيء الذي يمكن أن يكون قاله.

اليوم ألبس كسوة البارحة نفسها. أيذهب بي الى الرقص ؟ الى الـ Kelly's، طبعا ! تشربين بيرة أم ويسكيا ؟ لا، شامبانيا. إذا رآني أخي يقلب كل شيء على رأسي. وقعت البارحة فضيحة كبيرة في خمارة. «الصحافي الشاب بيدرو غيرا أطلق الرصاص على زعيم الحركة، الخ...» لكن هذا لن يحدث. بيدرو لا مبال. ربما كان يرقص في الـ Kelly's. أين يجد المال ؟ لا، لاشك أن أخي الطيب يسكر الآن في بار رخيص. لا يعمل شيئا غير ذلك... الجوربان في حالة جيدة. البارحة لبستهما لأول مرة. عندي ساقان جميلتان، بلاشك. الآن البس الـ BLOOMERS . بقيت خمسة أيام لذلك. أو ربما أسبوع. أعندي Kotex ؟ نعم، عندي. اسمع ياضون بيبي، اليوم لا، لا يمكن. أنت عارف. يالالأسف ! أو أقول له (أحسن) : «أنا أحب ياضون بيبي. افهمني. أحبه وهو يحبني» لا تخافي يا آنسة. تزوجي وكوني سعيدة، خذي : ألف دولار. ألفين. خذي ما تحتاجين اليه... الآن ألبس الكسوة.

ـــ أناديتني، ماما ؟... نعم ؟ ... وصل ؟ ... طيب ... قولي له أن ينتظر ...

أتزين قليلا وأخرج. انتهى الروج. والعطر ؟ مازال عندي قليل منه. أنا متجهزة الآن. طيب، وداعا. الى الحياة الجديدة. وداعا سرير العذرية، شهادتي، كتبي البالية، وداعا.

ـــ كيف أنت ياماما ؟ ما رأيك ؟ ولكن، ماذا جرى لك ؟

ـــ أنا خائفة على أخيك. جاء وأخذ معه البندقية.

ـــ البندقية ؟ ولماذا ؟

ـــ ما عرفت. بما أنه ينتمي الى «الفعل الجماعي»...

ـــ لا تخافي ياماما. ربما أخذها ليبيعها. نعم ! نعم ! أظن أنه قال لي سيبيع البندقية. طيب وداعا !

ـــ الله يحفظك. بسرعة !

ـــ اذا جاء تيتو قولي له ذهبت الى السينما...

ـــ لا تجري (متى يدخلون الضوء في الدهليز ؟) لا تتأخري.

ـــ طيب، وداعا... كيف أنت، ضون بيبي ؟ (لماذا يضغط على يدي هكذا ؟)

ـــ أنا بألف خير إذا كنت معك يالاوريتا.

ـــ ... (لماذا ينظر الي هكذا ؟) وأنا، تصور... يالاناقة هذه الـ roadster ! من أي نوع هي ؟

ـــ كريزلير، لكن أنت تستأهلين شيئا أحسن.

(أتصرف كأني ما سمعت شيئا) آه، لم أنتبه ! كل الجارات ينظرن الي. يالغيظ ! أخت روساورا هناك في شباكها. تخرج الأم. ماذا تقول لها ؟ والناس كثيرون هناك فوق ! فضوليات ! ينطلق لحسن الحظ... وإذا أرادوا أن يعرفوا ذلك ليعرفوا. حسد. حسد خالص.

عندما أسوق أنا سيارتي الكريزلير سيقتلهن الغيظ. يسوق جيدا على كل حال. كيف هو الهواء منعش ! الى أين سنذهب ؟

ـــ عندي لك خبر مفرح يالاوريتا...

ـــ (لماذا يمسك ذراعي ؟)

ـــ ... أنا وجدت ...

ـــ انتبه ياضون بيبيتو ! رد بالك الى السيارة !

ـــ ... وظيفة خالية لأخيك.

ـــ (أنا أفضل منحة دراسية. فيما بعد). ممتاز ! ستكون هدية رأس سنة جيدة.

ـــ قولي له أن يذهب الى مكتبي غدا.

خرجنا الى أبينيدا ثينطرال. كم هم الناس كثيرون ! نساء أسرة رودريغيث هناك. ما رأتني أية واحدة منهن. أحسن. مازالت هناك حفلات رقص اليوم. يحيي. من ؟ سيدات في سيارة. لماذا يبتسمن هكذا ؟ ليذهبن الى الجحيم ! توقفت الكريزلير. شرطي المرور يشير بيديه. يصفر. يصفر مرة أخرى. ماذا جرى ؟ نواصل السير. الناس يخرجون من ـــ ويدخلون الى ـــ الحوانيت. بيجامات عجيبة ! تشبه تماما تلك التي جعلتها «ضورا» في الاقتراع. ربح الرقم 51. أنا كان عندي الـ 32. كان بعيدا. لما يكون عندي مال أشري واحدة. الكريزلير دخلت شارعا ضيقا. كيف هو مظلم ! غرف للاكراء. دولار واحد. أيكون هذا هو المكان الذي يجيئون اليه بـ «أنا مارية» ؟ لا، لا، لاشك أنهم يذهبون بها الى الانطيرناثيونال. وأنا، الى أين ؟ ضون بيبيتو عنده غارصونيير بلا شك.

دخلنا الى الـ RITZ. ضون بيبيتو يسوق جيدا. دخل السيارة ووقفها ببراعة مع أن الأمر صعب لأن الفناء عامر. يقترب نادل. آبنوس خالص لافريقيا البعيدة. تعجبني هذه الاغنية. من كان يغنيها ؟ يعرف على القيثارة جيدا. من أفريقيا أو من آسيا ؟

ـــ ماذا نشرب يا لاوريتا ؟

ـــ (يريد أن يسكرني. فهمت) اطلب أنت. أنا لا أعرف ماذا أطلب.

ـــ زوج كوكتيلات شنغهاي

يستدير النادل ويبتعد. هناك سيارات أخرى كثيرة. ناس يتسلون. فتيات مع خطبائهن. لكن الوجوه لا تميز. يظهر أن الظليل متعمد.

ـــ هذا مكان ممتاز، لا أحد يضايق يمكن أن نرقص فيما بعد اذا أردت.

أيرقصني هنا في الخمارة ؟ لا غرابة أن يعمل هو ذلك. ربما يذهب بي الى ماخور. من يدري كم مخبأ يعرف.

جاء الدكتور نييطو في سيارة أخرى. مع من ؟ ما تمكنت من أن أراها جيدا. رجل انتيلي عملاق يقطع رؤوس مجموعة من الديوك. النُّدُل الاخرون يقهقهون لما يرون كيف تتلوى

الحيوانات المسكينة. أحيانا يسقط الساطور سقوطا خاطئا. فيطلق الديك المسكين زعقات تثير اعصابي. يجعلها النادل على خشبة ويقطع رؤوسها بضربة واحدة، ثم يرمي الاجسام بلا رؤوس في برميل. الدم ينطلق انطلاقا شؤبوبيا. كيف هو الدم كثير يارني !

آه، أخيرا جاءوا بالكوكتيلين. يأخذ ضون بيبيتو واحدا ويقدمه لي. أي خليط هذا ؟

ـــ اشربي يالاوريتا، اشربي. لا تفكري كثيرا. هذا سيىء.

بجرعة واحدة يتوارى ما في كأسه. ينادي الـ Waiter من جديد.

ـــ اثنتين اخريين

ـــ لا، لا، يكفي. لماذا كل هذه الكؤوس.

النادل يبتعد بالطلب

ـــ اذا كنت تبغين أن تغيري حياتك يجب عليك أن تقرري. أنت عارفة، أنت تعجبينني... تعجبينني لأنك شابة، لأنك جميلة.. يكفي !

شربت كأسي. أنا عازمة. سأكبح ضميري مكممة وساويسي الاخيرة. لا أريد أن يستعبد ذهني بأصول وأحكام سبقية. أريد أن أعيش حياتي متمتعة كما ينبغي، بلا فقر، بلا جوع.

ـــ معي يكون عندك كل شيء، كل ما تبغينه... ثياب، سيارة، دار أنيقة، رحلات... يمكن لك أن تعيشي مطمئنة، ولن تحتاجي الى عمل...

كوكتيلات أخرى. يشرب في صحتي. أغمزه. ابتسم. أريد أن أسكر. الكوكتيلات الاخرى خنقت وجهي. أحس أني أكثر مرحا.

ـــ نعم يا ضون بيبي ... أريد أن أتمتع... كوكتيلات أخرى !

أسمع الجوقة. تعزف تانغوا. يشبه تانغو البارحة.

ـــ لا! لا! أتوسل اليك ! لا تبسني ! سيروننا.

ـــ أحبك ! أنت عارفة يالاوريتا !

(لماذا يضغط علي هكذا ؟) يرجع الـ Waiter . يسمع طلب كوكتيلات أخرى. يذهب.

ـــ في اي شيء تفكرين يالاوريتا ؟

ـــ (بدأ يرفع الكلفة. هذا سيىء.)

ـــ لا أفكر في شيء... أفكر فيك ياضون بيبي...

(يعانقني بقوة. يضغط علي).

ـــ لا تعامليني بـ ضون. أكره ذلك. قولي لي أنت فقط. قولي لي بيبي.

ـــ لا تبسني، أرجوك. سيرونا.

ـــ أتحسين بوعكة ؟ اشربي آخر. سنذهب الآن. أتريدين أن ترقصي ؟

يعزفون موسيقى أفريقية كوبية. أشعر بإيقاعات قديمة.

ـــ هيـا !

أخرج من السيارة. رأسي يدور. الهواء بارد لحسن الحظ. هو يقترب مني. (قولي لي بيبي يالاورا) أتكيء على ذراعه. أأكون سكرانة ؟ نمشي نحو الصالون. تملأني رغبة جنونية في ان أضحك أو أبكي. يالمتاهة ! الصالون غارق في الظليل لحسن الحظ. نرقص. العزف ممتاز ! لذيذ ! ...Si te quieres الناس كثيرون ! ...por el pico... يرقص جيدا ! ...divertir... ما هذا التصرف ؟ ...maniii...(1) كيف يضغط علي ! مع من هي ضورا سميت ؟ تشبهني. نعم، نعم... مع المدير. كنت أتوقع ذلك. انتهت أغنية «بائع فستق العبيد».

ـــ أنجلس ؟ (أشعر بتحسن)

ـــ كما تبغين... رقصك ممتاز يالاوريتا.

ـــ (ما كنت في حاجة الى الثناء) أحيانا فقط. لما يكون مرافقي بارعا (ألْتَقِطُ هذا التلميح في الهواء إذا لم تكن غبيا).

الشامبانيا متجهزة الآن. ينزع النادل سدادة الزجاجة دون أن يحدث الفرقعة الضرورية. الغبي ! أنا أفضل الفرقعة المعتادة. جلس قريبا جدا مني. يشرب النخب معي.

ـــ لنشرب... في صحة العام الذي يبدأ الآن !

ـــ (باللضجيج !) في صحته !

ـــ ولكن يالاورا، مالك ؟ افرحي !

-هو على حق. يجب أن افرح هذه الليلة. الغد اثنان يناير... حياة جديدة، فرح، ترف، متع.

ـــ اصبر ياضون بيبي. افهمني ! كل هذا يبدو لي مفاجئا ولا معقولا للغاية... تصور نفسك في موضعي... هكذا فجأة... يخيل الي أني أسقط في هاوية... زيادة على ذلك، هذا الضجيج، الموسيقى... الاضواء... الناس... (اسكتي الآن يالاوريتا، أنت سكرانة وتتكلمين بلا سبب !)

ـــ هذا هو الشيء الذي يعجبني ! لما تتكلمين تكونين أجمل ... ولكن لا تحزني... لأنك عندئذ لا تكونين جميلة...

(1) تقول الاغنية ما معناه : إذا أردت أن تتسلى من فمك، كل فستق العبيد.

فالس آخر ؟ تعجبني الفالسات. لا أرقص على موسيقاها، لكن أحب سماعها. أين سمعت هذا الفالس ؟ أنا في فيينا... فتيات وتلاميذ بحرية يدورون وهم يغنون أغنية حب... لاوريتا، الارشيدوق يريد أن يرقص معك. شكرا جزيلا، لا أرقص.. أحس بثقل في جسمي.

ــ الحياة جميلة يالاورا... كؤيس أخرى... أنرقص ؟

ــ لا أدري... نشرب أحسن...

ماذا وقع في الباب ؟ رجل يصرخ. هو سكران تماما بلاشك. يدفعونه. يصيحون. يقترب شرطي مصفرا.

يجيء أحدهم الى الطاولة ويتكلم مع ضون بيبيتو. ماذا يقول ؟

ــ كيف ؟ ثورة ؟ لا يارجل، ولكن هذا الشعب وديع.

ضجيج كثير ! يؤلمني رأسي. من يكون ذاك الذي يصرخ في الخمارة ؟ أغنية «بائع فستق العبيد» من جديد. طراق، طراق. سقطت كأس. من رماها ؟ أحس بضيق شديد ! جلس ضون بيبيتو جنبي...

ــ طيب يالاورا، كأس أخرى ... الاخيرة ونذهب ... اشربي ! اشربي !

ما أشد رغبتي في النوم ! لما تكون عندي داري أنام النهار كله. كم الساعة الآن ؟ لا أستطيع، لا أستطيع أن أقف. يساعدني ضون بيبيتو. الحمد لله، خرجنا. لماذا يضغط علي هكذا ؟ ...Manicero se va(1) آه كدت أسقط. والآن لماذا يطلقني ؟ كنت أتوقع ذلك. برودة لذيذة ! أتنفس. ذهبت السيارات الآن ...Luna, Lunita(2) أين أذهب لاصيف ؟ سفر سعيد... «نهنيء الآنسة الجميلة...» الآنسة رائحة ؟ مطبخ. لا يارجل، هي عشيقة ضون بيبي. الشقية ! ياللاسف ! استهانت بالارشيدوق من أجل ذاك العجوز الغبي. طيب، كلهن يعملن الشيء نفسه على كل حال...

ــ احذري ! خليني أفتح لك الباب

ــ (متى يهديني الكريزلير ؟) الله ! أنا في حالة سيئة جدا... آه! ... الخليط آذاني... آه ! ... أشعر بالغثيان...

ــ لاتخافي يالاورا.

ــ منديلي... أين يمكن أن أكون خبأته ؟

ــ خذي منديلي أنا.

ــ (باللرائحة الزكية !) ألف شكر يا ضون بيبي. ياللعار !

---

(1) بائع فستق العبيد ذاهب ...

(2) ياقمر، يا قمير...

ـــ ما وقع بأس. اركبي. سترين... النسيم سيجعلك تشعرين بتحسن...

يسد الباب. يشعل المحرك. تنطلق السيارة. يالبرودة الهواء ! الى أين سنذهب ؟ أدخل ذراعه ورائي. يضغط علي من جديد. إذا استمر يقبلني سننقلب. آخر خبر. حادثة سير مفجعة، الخ... لماذا يستمرون في قطع رؤوس الديوك ؟ الدم كثير ياربي ! من أين نحن ذاهبون ؟ لا أتذكر هذه الاشجار. الوقت متأخر جدا بلاشك. رأسي يدور. أريد أن أنام. أسند اليه رأسي. ما ألذ النسيم ! استمطر ؟ ـــ لا ياسيدتي، الرطوبة التي تحسين بها هي لهواء البحر... كيف هي الأمواج كبيرة ! أنا في مقدم السفينة. ما أقوى هذه الرياح ! كيف تصفر ! يمكن أن تغرق السفينة... ـــ يا آنسة، أقدم لك الروائي سينكلير. ـــ أوه، متشرفة... ـــ آأنت مسافرة الى كاليفورنيا يالاوريتا ؟... ـــ طبعا ! ياروائيي العزيز أنت تعرف جيدا أن لي عقدا لتمثيل دور في انتاج ضخم لشركة المترو... ـــ نعم، طبعا، هو شريط عن الثورة... أجئت بالبندقية ؟ ـــ أظن أني لن أحتاج اليها. أنت تعرف جيدا أن هذا الشعب وديع. البرد ! تسمع صفارات الانذار. ماذا جرى ؟ كل الناس يجرون وهم يصرخون. يطلون من جانب السفينة. الاجراس تنذر بالخطر. ماذا يمكن أن يكون قد جرى ؟ فتاة سقطت في البحر ـــ تصور، كانت هذا الصباح تقتل ديوكا والآن أرادت أن تسبح. مصيبة !... كانت ضحت من أجل ذويها. الذنب ذنب الأخ. انظر، هاهم جاءوا بها !... نعم ياضون بيبي، لا تخف... يمكن لك أن تعريها... نحن نشرب شامبانيا بينما تعمل أنت ذلك... ما أجمل هذا الجسم ! تمثال ! أكان الثمن غاليا ؟ تقريبا... أهديتها سيارة كريزلير... لكن لا تؤلمها ياضون بيبيتو، بسها فقط : لا حاجة إلى أن تعضها... من يعطي أكثريا سادة ؟ أتريد أن تشري النهدين ؟ أنا أفضل الرجلين. ولكن سيارة كريزلير شيء قليل... فلم رائع ! غابة وطبول وصراخ متوحشين... يحطيون بالبطلة صائحين ويرقصون برماح حادة... الضحية تتأوه عارية مربوطة الى شجرة... ـــ أتمثل في الفلم أنت كذلك ياضون بيبيتو ؟ ـــ نعم، طبعا... أما رأيت رمحي ؟... ـــ كيف يلمع !... ـــ تصور، أنا رئيس القبيلة !... طيب، طيب... السكوت ! يجب أن يعيدوا تمثيل المشهد !... كل واحد الى موضعه !... أيها السيد الرئيس، هذا دورك ! تشجع ! الآن ! اضربها بالرمح ! والآن أنت يا آنسة، أطلقي صرخة قوية جدا.. حسن جدا... الآن استمروا في قطع رؤوس الديوك... الدم كثير ياربي !... موسيقى جنائزية وأجراس تدق... ماذا يحملون في ذاك الصندوق ؟... جثة البطلة الميتة... مسكينة ! تصور، سلمت نفسها لضون بيبيتو ودفعها الغم الى أن تلقي بنفسها في البحر... البرد !... ألا تحسون بهذا البرد الشديد ؟ غط رجليها على الأقل. لاحاجة الى ذلك. تكفي خوذة من حديد محمى في الرأس. اطرق فقط يا دكتور !... ولكن، ماذا جرى ؟... لماذا يدقون هذا الدق كله ؟... لا تخلوهم يدخلون... سدوا الباب !... الله، مازالوا يدقون !... ولكن ماذا يريد هؤلاء المتوحشون الملاعين ؟ ـــ افتحوا ! افتحوا الباب !... الباب ! ... ! الباب!...

أفيق أخيرا. ماذا جرى ؟ أين أنا؟ في رأسي وجع. هناك دق في الباب. البرد شديد !

أنا عارية. اتغطى. يظهر أني حلمت. آه، فهمت. الرماح... المتوحشون... من كان ذاك الدكتور ؟ مازالوا يدقون. من يتحرك جنبي ؟ ضون بيبيتو ! العجب ! لم يكن حلما... كنت أتوقع ذلك... ولكن، كيف هو السرير كبير... ما لاحظت هذا بتاتا. حجرة أعزب كبيرة. غارصونيير ؟ ينهض ضون بيبي فجأة. أنا أتصنع النوم. يقوم. أنظر اليه خفية. يلبس بيجامة رائعة. من أين يمكن أن يكون شراها ؟ يفتش عن الخفين. شرقية بلاشك. يلبس الخفين. صينية بالتأكيد. يتجه الى رف. أو ربما هندية. يخرج كيمونا رائعا من حرير ياباني ؟ أظن أن تيتو هو الذي تكلم لي عن الخاي ــ كاي. يخرج ضون بيبيتو في المبذل. سد الباب وراءه. هو محتاط. أسمع خطواته في الحجرة الأخرى. المكتبة ؟ يسمع صوت يصرخ : «افتحوا بسرعة!...» مازالوا يدقون بقوة. يالنفاد الصبر ! أسمع صوت الباب وهو يفتح. صوت ضون بيبيتو المترعد الغير الواثق يملأني قلقا.

ــ ماذا جرى ؟ ما معنى هذه الاسلحة ؟

الله. أقفز قفزة. أتغطى (أنا عارية). أين هو حذائي ؟ أقترب من الباب على أطراف أصابعي. كيف هو الزليج بارد ! ما هنا أية فتحة أرى منها رائحة تفاح. أنا جائعة جدا. في رأسي وجع. فمي ناشف. اعطي حياتي من أجل قطرة ماء. لو كان هنا شق. من يكون الذين دخلوا ؟ أيكون أصدقاء له، ناسا سكارى ؟ إذا وجدوني عارية، فضيحة ! يتناقشون. ضون بيبيتو يتصنع الغضب. أعرفه. هو ليس رجل مواقف حازمة. الجبان !

ــ ... ولكن هذا تَعَدٍّ !

ــ لا تغوث أكثر... البس ثيابك... عندنا أمر بأن نأخذك أسيرا...

لمن هو ذاك الصوت ؟ أنا أعرفه. آه، طبعا ! كيف يمكن أن أغلط وهو صوت أخي. أريد أن أراه. لابد. أضطر الى أن أفتح الباب قليلا. هكذا بحيث أرى ما يجري دون أن يروني عارية. هم ثلاثة رجال مسلحين موسخين. أخي موجود معهم. يفسر :

ــ هاجموا الثكنات.. والحكومة سقطت... انتصرنا... من يحكم الآن هو المجلس الثوري... بسرعة... يجب أن نأخذك معنا... بسرعة !...

ماذا عملت يا أخي ؟ أنت هدمت قصري الورقي. وداعا أيتها الرحلة الى فرنسا. لن تحصل على منحتك ولن يكون عندنا مال ليداووا ماما في مصحة. أأكون ضحيت لأجل هذا ؟

أسمع صوت ضون بيبيتو مرة أخرى.

ــ طيب، انتظروني !

يجيء نحو حجرة النوم. أدخل السرير بقفزة. أتغطى. هو يفتح ويدخل. أنا أنظر اليه بعيني نصف مغمضتين. هو مضطرب. مسكين ! لماذا أقول له مسكين ؟ هو وغد. هتك

عرضي. يجب أن يعوضني. أين يخبىء المال ؟ عنده حساب في البنك بلا شك. ودفتر الشيكات ؟ لا تتركوه يهرب دون أن يسدد ما عليه... قليل الحياء ! لبس ثيابه كلها تقريبا. «لا تقلقي يالاورا. سأعطيك شيكا. كم تريدين» مازالوا يدقون في الخارج بالبنادق. هم قلقون بلا شك. ضون بيبي يمشط شعره. هو متجهز الآن. يقترب مني.

ـــ لاوريتا...

أفتح عيني.

ـــ سيأخذونني الى السجن...

(عملوا عملا حسنا يا ملعون !)

ـــ البسي ثيابك يا لاوريتا. يمكن أن يرجعوا... افهمي...

ـــ لا تخف يا ضون بيبي. (يا جبان ! متى تعطيني الشيك ؟ بسرعة، بسرعة يا شُيَيْخ ! أخرج المال. أين هو دفتر الشيكات ؟)

ـــ من الأحسن أن تذهبي... خذي !

(دولار واحد ؟)

ـــ ... لترجعي في طكسي.

(الشقي !)

أنظر اليه بحقد. لا أقول شيئا. ماذا يفيد الكلام ؟ يقترب مني. يطبع قبلة على جبهتي. باللاحترام ! شفتاه باردتان. دم ضفادع. أنا أغمض عيني. أعود الى فتحهما. هل خرج ؟. أسمع صفق الباب وهم يسدونه. يبتعدون. أقوم بسرعة. البسي ثيابك بسرعة يالاورا ! يجب ان أكون في الدار في اقرب وقت. ثورة. اللعنة ! من تكلم البارحة عن هذا ؟ لا اتذكر البتة. لن أسكر مرة أخرى. ينقصني جورب. اين يكون ؟ امشط شعري وأنا هكذا عارية. الآن لا يمكن ان يراني احد. اريد ان استحم. لا، يجب ان ارجع بسرعة. يالسوء حظك يالاوريتا !... لما كانت تبدأ حياة المتع والافراح. وماذا ؟ المغامرة انتهت. ضون بيبيتو اخذوه اسيرا وأنا هنا البس ثيابي وقد تحولت الى مجدلية. وماذا ؟ المغامرة انتهت. ضون بيبيتو أخذوه أسيراً وأنا هنا ألبس ثيابي وقد تحولتُ الى مجدلية. لماذا البكاء ياغبية ؟ لا أجد الجورب الآخر. ارى فجأة امرأة اخرى عارية. من تكون ؟ هي انا بنفسي. انظر الى نفسي في المرآة. شاحبة جدا ! أكان حلما ؟ «يجب ان يعيدوا تمثيل المشهد ! اعدوا الرماح جيدا ! أين هو ضون بيبيتو ؟ ذهبوا به اسيرا لانه وغدا !» ما اعطاني حتى ثمن زوج جوارب، الشحيح ! ايها الجورب الملعون، لا اجدك. ارفع المخدات. لا شيء. شريتهما بدولارين. يجب ان اجده. هاهو ؟ الحمد لله. ألبسهما. الحذاء. انتهيت ! اجري يالاوريتا. ألبس ثيابي بسرعة. أتزين قليلا. انا الآن كما يجب ان اكون. الآن الى الشارع ! اخرج من حجرة النوم وأهذه هي الصالة ؟ ما رأيتها البارحة. السكر الذي كنت احمله هو السبب. كم هي الكتب كثيرة ! ليتني اقرأها. من كان

الروائي ؟ الحياة خليط من السهر والأحلام. أين قرأت هذه الجملة ؟ افتح الباب. لا أحد في الدرج. انزل دون ان احدث اي صوت. احدهم جاء. من ؟ انتظر. كم الساعة ؟ لاشك ان الصباح بدأ يطلع. ستكون اكثر من الرابعة او الخامسة صباحا. لا يهم من هو، المهم انه مر دون ان يتوقف. لأسرع، احسن لي. ارمي نفسي في الشارع، بسرعة ! امشي لصق الجدار. سأنعرج عند الناصية. لا. أسمع خطوات. وأصوات. من يكونون ؟ اختبئ. جنديان ببندقيتين. يكادان يمران جنبي. يلاحظ عليهما الاضطراب. احدهما يطلق جملة غامضة دون ان يرى مرافقه.

ـــ يظهر انه ليس هناك ضحايا ـــ يقول.

انتظر مختبئة. احس بخطواتهما تبتعد. لا أعود اسمعها. أواصل طريقي في الشارع المنحدر. اقال ليس هناك ضحايا ؟ وأنا ماذا انا ؟ الضحية الوحيدة للثورة. ربما كان لابد ان يحدث هذا. كان مكتوبا. لكن هذا ليس وقت استقصاء ما اذا كانت هذه المغامرة حلما ام قصرا من ورق. أنت الآن غادية الى الدار من هذا الشارع الصغير. باكية ؟ مسكينة لاورا ! ماذا يفيدك البكاء ؟ لا تكوني ساذجة، يا ! امسحي عينيك احسن لك. الفلم انتهى. كم انت ممثلة عظيمة يالاوريتا ! طيب ، نقطة نهائية، الى الدار، البطلة تضيع وسط الضباب، مفكرة... مفكرة في اشياء كثيرة لهذه الحياة المرة. هذه الحياة الخنزيرة !

باناما 1932

ترجمة : محمد العشيري

ـــ روخيليو سينان. ولد في باناما عام 1904. كتب الشعر والرواية والمسرحية والقصة القصيرة. من مؤلفاته : طيور الحلم (قصص، 1954)

ـــ عن كتاب :

-CUENTOS DE ROGELIO SINAN. EDITORIAL UNIVERSITARIA CENTROAMERICANA. 1982 .